

انْبَاءُ اختيار على اختيار/ شرح الشنتمري لحماسة أبي تمام أمودجا

أ. توفيق مساعدي

جامعة الاخوة منتوري قسنطينة.

ملخص:

يعد ديوان الحماسة أحد أنماط الاختيارات الشعرية المبتكرة التي جمع فيها أبو تمام عيون الشعر العربي، وصنفها في عشرة أبواب بحسب الموضوعات الشعرية، وقد تقبل أهل الأدب هذا الاختيار تقبلا حسنا، فأهتموا بقراءته وتدرسه وشرحه وتفسيره، ولما كان الأعلام الشنتمري واحدا من بين هؤلاء الشراح الذين تصدوا لشرح هذا الديوان بطريقة جديدة غير معهودة اختيارا وإخراجا وترتيا، فإن هدف هذا البحث ينصب على محاولة توضيح الأسس التي اعتمدها الشنتمري في شرحه لهذا الاختيار الشعري.

summary:

The Office of enthusiasm is one of the types of creative poetry choices that Abu Tammam collected in the eyes of the Arabic poetry, classified in ten sections according to the poetic themes, and the people of literature accepted this choice well accepted, they were interested in reading, teaching, explaining and interpreting, and the knowledge Shantamri one of those commentators who The aim of this research is to try to explain the way that Al-Shantammari adopted in his explanation of this poetic choice.

- ضبط مصطلح الشرح ومدارسته.

إن المهمة الصعبة التي يواجهها النقد المعاصر هي إشكالية تحدي المصطلحات بدقة ورسم حدودها المنهجية والاجرائية حتى تكون أكثر فعالية عند مواجهتها لموضوعها، ويعد مصطلح الشرح من بين هذه المصطلحات التي تفرض على الدارس الوقوف عنده وضبطه مع تبيان طريقة اشتغاله وتحليل آلياته¹، لكن محاولة النظر في مفهوم مصطلح الشرح نظرة ضبط ومدارسة لا يمكن أن يتم بمعزل عن مفاهيم أخرى مشدودة إليه بأكثر من سبب، إذ نجد إضافة إلى مصطلح (الشرح)، مصطلحي (التفسير) و(التأويل). وهذه المصطلحات الثلاث وإن استخدمت في مجالات معرفية متنوعة، ومن زوايا نظر متباينة، فإنَّ الرجوع إلى جذورها الاشتقاقية من شأنه أن يكشف عما يجمع فيما بينها من متصورات جامعة تؤلّف بينها على نحو يجعلها تضطلع فيه بنفس الوظيفة الدلالية، وإن تعددت العلامات وتباينت².

وبالاعتماد على المادة المعجمية التي أتاحها لنا لسان العرب فإننا نجد ما نصه: " الشَّرْحُ: الكَشْفُ؛ يقال: شَرَحَ فُلَانٌ أَمْرَهُ أَي أَوْضَحَهُ، وَشَرَحَ مَسْأَلَةً مُشْكِلَةً: بَيَّنَّهَا، وَشَرَحَ الشَّيْءَ يَشْرُحُهُ شَرْحًا، وَشَرَّحَهُ: فَتَحَهُ وَبَيَّنَّهُ وَكَشَفَهُ. وكل ما فُتِحَ من الجواهر، فقد شُرِّحَ أيضًا. تقول: شَرَحْتُ الْغَامِضَ إِذَا فَسَّرْتَهُ ... وَالشَّرْحُ الْحِفْظُ، وَالشَّرْحُ الْفَتْحُ، وَالشَّرْحُ الْبَيَانُ، وَالشَّرْحُ الْقَهْمُ..."³.

وقد جاء في مقاييس اللغة لابن فارس ما يتوافق مع ما ذهب إليه ابن منظور لما قال: " الشين والراء والحاء أصيل يدل على الفتح والبيان. ومن ذلك شرحت الكلام وغيره شرحا، إذ بينته..."⁴.

أما التفسير فهو: " الْبَيَانُ. فَسَّرَ الشَّيْءَ يَفْسِرُهُ، بِالْكَسْرِ، وَتَفْسَرُهُ، بِالضَّمِّ، فَسَّرًا وَفَسَّرَهُ: أَبَانَهُ، وَالتَّفْسِيرُ مِثْلُهُ. ابن الأعرابي: التَّفْسِيرُ والتَّأْوِيلُ والمعنى واحد. وقوله

عَزَّ وَجَلَّ: وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا؛ الْفَسْرُ: كَشَفُ الْمَعْطَى، وَالتَّفْسِيرُ كَشَفُ الْمِرَادِ عَنِ اللَّفْظِ الْمَشْكَلِ ... "5.

ولا يختلف صاحب المعجم الوسيط في تعرضه للفظة التفسير عما جاء به ابن منظور لما قال: " فسر الشيء فسرا وضحه، وفسر آيات القرآن شرحها... والتفسير: الشرح والبيان "6.

أما التأويل فهو من: " أَوَّلَ الْكَلَامِ وَتَأَوَّلَهُ: دَبَّرَهُ وَقَدَّرَهُ، وَأَوَّلَهُ وَتَأَوَّلَهُ: فَسَّرَهُ ... والمراد بالتأويل نقل ظاهر اللفظ عن وضعه الأصلي إلى ما يحتاج إلى دليل ... وسئل أبو العباس أحمد بن يحيى عن التأويل فقال: التَّأْوِيلُ والمعْنَى والتَّفْسِيرُ واحد... والتَّأْوِيلُ تفسير الكلام الذي تختلف معانيه ولا يصح إلا ببيان غير لفظه ... التَّأْوِيلُ تفسير ما يُؤوَّلُ إليه الشيء ... "7.

وما يقف عليه الناظر، من على شرفة دلالة هذه المصطلحات، هو أن الشرح يعني: البيان والتبيين والفتح والفهم والحفظ والإيضاح، والتفسير يعني: الإبانة والكشف والمعنى والتأويل، أما التأويل فيدلّ على التفسير والتدبر والتقدير والمعنى والطلب والتحري⁸.

وواضح تماما فيما يصل بين هذه المصطلحات المذكورة من متصورات جامعة، ما يقر بشكل جلي أن هذه المفاهيم الثلاثة وإن كانت مختلفة من جهة اللفظ فإنها متقاربة من جهة المعنى ومتحدة فيه⁹، ولعل هذا ما جعل صاحب اللسان - والقول لأحمد الوديني- يُسَخِّر بعضها لتعريف البعض الآخر، فقد حدّد الشرح به التفسير: " شَرَحْتُ الْغَامِضَ إِذَا فَسَّرْتَهُ "، وحدّد التفسير به التأويل أكثر من مرة: " التَّأْوِيلُ والمعْنَى والتَّفْسِيرُ واحد... التَّأْوِيلُ والتَّأْوِيلُ تفسير الكلام ... التَّأْوِيلُ تفسير ما يُؤوَّلُ إليه الشيء ... ". وهذا التداخل الدلالي الذي يصل حدّ التطابق في بعض

الأحيان ينهض دليلا واضحا على تساقط كل الحدود الفاصلة بين هذه المصطلحات¹⁰.

هكذا، ومن على شرفة هذا التداخل الدلالي بين هذه المصطلحات، يرى أحمد الوديني أنه إذا كان الشرح هو التفسير في بعض وجوهه، وكان التفسير هو التأويل من وجوهه، فإن الشرح يصبح ضربا من التأويل، وجميع هذه المصطلحات تتواصل على محور واحد هو الفهم لأجل تحقيق غاية إدراك قَصْدِ كاتب ما من خلال ما يقوله أو يكتبه¹¹.

ويضيف أحمد الوديني، في هذا الإطار، أن آلية تحقيق سمة الفهم الأوفى لقصد كاتب ما تقتضي من الشارح أن يراعي في شرحه حركتين الأولى عمودية والثانية أفقية، وكلتا الحركتين تكتسب قيمتها من خلال علاقتها بالأخرى¹².

تبدأ الحركة الأولى/العمودية بفعل الاختراق الذي يقوم به الشارح لحجب اللغة الكثيفة وهو اختراق لحاجز فيزيائي مادي هو الألفاظ بحثا عما يثوي خلفه أو تحته من خبيء المعاني¹³، وبعد أن يكون الشارح قد ولج إلى المعاني عبر أغشية المباني، فهو، أيضا، مدعوٌّ في الآن نفسه إلى حركة ثانية/أفقية يقتضيها فعل الشرح وهي "خلق أسباب التشابك بين تلك المعاني وهاتيك الدلالات، فيمخضُها درسا، ويدمنها نظرا ... وصولا إلى أصناف الاستنتاجات وأنماط الفوائد والخلاصات"¹⁴.

ومن خلال تقاطع هذين المحورين: العمودي والأفقي يكتمل الشرح ويستقيم الفهم فلو وقع الاكتفاء بالقراءة العمودية للنص لوسم الشرح بالقصور عن بلوغ المقاصد، ولو تم الاقتصار على القراءة الأفقية لوسم بالافتقار إلى الدقة والعمق، لذلك فالعلاقة بين المحورين أساسها التلازم والاقتضاء¹⁵.

إن طرق باب الشَّرح وفق هذا التَّأليف الذي يصل الظاهر (سطح النص) بالباطن (عمق النص)، والمتجلى (البنية اللفظية) بالخفي (البنية الدلالية)، تجعل من الشَّرح حركة لا تنحصر في ضرب من ضروب الفهم العفوي المعزول بل هو عملية ذهنية جوهرها تفسير دقيق ينطلق من المعاينة لظاهرة لغوية هي النص، ثم تشخيص لأبرز جوانبها وصولاً إلى الاستنتاج أو الخلاصة¹⁶.

وما يمارسه الشَّارح في إطار عملية الشَّرح من تفكيك للنصوص بغرض فهمها وتحديد معناها معقود على غاية واحدة هي استمالة المتلقي واستدعاء ذهنه كي يتمثل المادة المشروحة¹⁷، وهو ما يجعل من الشَّرح وفق هذه الرؤية " ممارسة محورها الجمع بين مرتبتي الفهم والإفهام، بحيث تتحقق المرتبة الأولى من خلال الصلة الرابطة بين النص والشَّارح، وتتحقق المرتبة الثانية من خلال القناة الواصلة بين المتلقي والشَّارح الساعي إلى الإفهام"¹⁸.

ومن على شرفة هذا التصور، يعتبر المعنى في النص الشعري من بين المعاني القابلة للشرح، وذلك بحكم ما ينطوي عليه من انفتاح دلالي، وما يتيح من تعدد في التخريج في مختلف مستوياته الشعرية التي يرصد فيها الشراح مظاهر الاحتجاب والابهام، فيعمدون إلى توضيحها من أجل أن تكون في متناول القراء والمتلقين¹⁹.

- تاريخية مصطلح شرح الشعر حتى ظهور ديوان الحماسة.

منذ أن وجد الشعر العربي وجدت رغبة إلى فهم معانيه وتبيان دلالاته، غير أن هذه الحاجة تختلف من عصر إلى عصر ومن بيئة إلى أخرى؛ ففي الفترة الجاهلية وصدر الاسلام لم تكن الحاجة ملحة لشرح ما غمض من الشعر، بل لم تكن القبائل ترى فيما يقوله شعراؤها غامضا مبهما، لأن تجارب شعرائهم ومعاناتهم بينهم معلومة،

وتعبيراتهم وإشاراتهم لديهم مفهومة، أما إذا ما استحدثت في تلك التجارب جديد غير مألوف، فإن السامع يهرع إلى الشاعر نفسه ليوضح مقصوده ويشرح له مراده²⁰.

لكن منذ أن اكتمل نزول القرآن، ودخل في ربوعه أجناس وعناصر متباينة، احتاج الناس إلى معرفة معانيه وتبيان ألفاظه ودلالاته " وكان في هذا الاحتياج مؤشر ضخم للناية بالشعر والافادة منه في تفسير لغة القرآن ومعانيه"²¹، وهي المهمة التي اضطلع بها العلماء في النصف الأول من القرن الثاني الهجري، ثم تنامي الاهتمام بالشعر رواية وضبطا مع جيل اللغويين والرواة الذين حركهم هاجس الجمع على امتداد القرن الثاني وأوائل القرن الثالث²².

وكان على رأس هؤلاء العلماء الرواة: أبو عمرو بن العلاء (ت 154هـ)، وعيسى بن عمر (ت 149هـ)، وأبو الخطاب الأخفش (ت 177هـ)، خلف الأحمر (ت 180هـ)، ويونس بن حبيب (ت 182هـ)، وحماد الراوية (ت 151هـ)، والمفضل الضبي (ت 168هـ) وغيرهم ...

والملاحظ على شروح هؤلاء العلماء الرواة أنهم كانوا يردفون ما يروونه ويدونونه من أشعار العرب، ببعض اللمحات النحوية والإشارات الصرفية، والمناسبات التاريخية.

ورغم أن الشرح عند هذا الجيل لم يكن مقصودا لذاته بقدر ما كان اهتمامهم منصبا على جمع المادة الفنية وتوثيقها، ثم دراستها وروايتها، إلا أنهم حازوا فضل السبق والريادة بجهودهم التي كانت مدادا لتلاميذهم وتلاميذ تلاميذهم " في المضي بشرح الشعر إلى ميدان أرحب، ومجال أوسع مما كان عليه في زمن هؤلاء الأوائل"²³.

والحق إن علماء الجيل الثاني أمثال أبي عبيدة (ت 210 هـ)، وأبي زيد الأنصاري (ت 215 هـ)، والأصمعي (ت 216 هـ)، وابن الأعرابي (ت 231 هـ)، وأبي عمرو الشيباني (ت 231 هـ). وكذلك علماء الجيل الثالث أمثال ابن السكيت (ت 246 هـ)، وأبي حاتم السجستاني (ت 254 هـ)، والرياشي (ت 257 هـ)، ... وغيرهم من علماء منتصف القرن الثالث، قد استطاعوا أن يخطوا في شرح الشعر خطوات واسعة "قوامها صناعة شروح أدبية منتظمة وافية، تفسر الغريب، وتوضح المعاني، وتعرض الروايات، وتقوم الأشعار..."²⁴.

وقد استثمر علماء الجيل الرابع أمثال السكري (ت 275 هـ)، والمبرد (ت 285 هـ)، وأبو العباس ثعلب (ت 291 هـ)، ومن جاء بعدهم من علماء أواخر القرن الثالث في حركة الشروح بجمع جهود السابقين وقاموا بتنسيقها وتحليل ما جاء فيها من أقوال وآراء، لأنهم وجدوا "أنفسهم إزاء أشعار مدونة، تختلف رواياتها ومصادرها والتفسيرات التي ألحقت بها. فوجهوا اهتمامهم إلى صناعة شروح، تنسق هذه الاختلافات، وتضيف إليها ما يوحدها، ويوجهها نحو خدمة الشعر"²⁵. فظهرت بذلك بعض الدواوين والمختارات الشعرية التي تحمل في طياتها عددا من الشروح والروايات المختلفة، التي أشبعوا تفسير مشكلها، وبالغوا في إيضاح غامضها، واستقصوا شرح غريبها، متلافين ما فرط فيه غيرهم منها. وبهذا العمل قدم هذا الجيل أضخم محاولة منظّمة ومنقّحة في صناعة الشروح²⁶.

هذه الحال هي الطابع السائد على الشروح طوال الحقبة الماضية حتى إذا ما وصلنا إلى عصر الجيل الخامس-أواخر القرن الثالث وأوائل القرن الرابع-فإذا نحن أمام تطورات، ذات أهمية كبرى في تاريخ الشروح؛ فقد تصدى لشرح الشعر-حينئذ-علماء من ذوي المنازع والعلوم المختلفة، انعكست فيما ألفوا وصنفوا من شروح، وتميزت بها عن سواها²⁷، فأبو محمد الأنباري (ت 304 هـ) أولى في شرحه العناية بالقضايا

اللغوية والأخبار التاريخية، وابنه أبو بكر (ت 328 هـ) اهتم في شرحه باللغة والنحو، واليزيدي (ت 310 هـ) التزم في شرحه بجانب المعاني، في حين أن الصولي (ت 336 هـ) جمع في شرحه بين المعاني والتاريخ²⁸. وقد رأى علماء هذا الجيل أن مبدأ التنسيق والاختيار الذي سار عليه الشراح السابقون يعد تحديدا لا فائدة منه بل إنه تقصير يجب أن يتلافوه، لأن القصد من الشرح هو التعليم والتثقيف، لذلك، وجدت في شروحهم ظواهر لم تكن مألوفة في شروح السابقين منها: الاهتمام بعرض الروايات المختلفة، والإشارات النقدية، والنكات البلاغية، بأسلوب أدبي تبرز فيه شخصية الشارح ومدى إدراكه لمعاني الشعر. وهذا الأسلوب هو ما دعا محمد عبده عزام إلى أن يقول: " فأما عمل الشعر شروحا فلا نعرف هذه الظاهرة إلا في القرن الرابع ... "29.

وعلى مشارف نهاية القرن الرابع، نلمس عند علماء الجيل السادس تطورات فنية ومنهجية في تناول شرح الشعر؛ إذ كان معظم شراح هذه الفترة أمثال السيرافي (ت 368 هـ)، وابن خالويه (ت 380 هـ)، والآمدي (ت 371 هـ)، وأبي القاسم البصري (ت 375 هـ)، والرماني (ت 384 هـ)، وابن جني (ت 392 هـ)، وأبي هلال العسكري (ت 395 هـ)، ... وغيرهم، من ذوي الثقافات الواسعة المتعددة التي انعكست على شروحهم، فاتسمت بلمحين: أولهما التخصص والتحديد؛ بحيث تكاد تقتصر الشروح على لون معين من الشرح، وثانيهما النقد التحليلي التطبيقي المعلن، الذي يهدف إلى إظهار الهنات التي وقع فيها الشعراء والعلماء³⁰.

وما نكاد نصل إلى القرن الخامس حتى نجد عند علماء الجيل السابع أمثال: أبي عبد الله الإسكافي (ت 420 هـ)، وأبي الحسن الربيعي (ت 420 هـ)، والمرزوقي (ت 421 هـ) ... وغيرهم، وثبات واسعة المدى في شرح الشعر، إذ أخذوا يستكملون ما قصر فيه سابقوهم أو ما تركوه دون شرح، وما يلحظ في شرحهم بروز

عنصر "استعراض المعاني عوضاً عن الاستطراد السابق في المسائل النحوية والصرفية والإعرابية"³¹. وكانوا في استخراجهم للمعاني يتفننون في تخريج أكثر من معنى للبيت الواحد، مع النقد والتحليل والتعليل والابداع.

أما شرح الشعر في القرن الخامس، مع علماء الجيل الثامن، جيل أبي العلاء المعري (ت 449 هـ)، والواحدي (ت 468 هـ)، والأعلم الشنتمري (ت 476 هـ)، والروزي (ت 486 هـ)، فإن العنصر البارز في شروحهم هو عنصر توضيح المعاني والاهتمام بها اهتماماً قد يطغى على غيرها من العناصر الأخرى، مع عدم إغفال الجوانب البيانية والعناصر التوضيحية الأخرى نحوية كانت، أم لغوية، أم تاريخية في إطار من الإيجاز والاختصار³². ولعل ما قدمه هؤلاء العلماء يميز لنا أن نقول إن القرن الخامس كان أزهى العصور لشرح الشعر، وأقربها إلى المنهجية والفنية في الشرح³³.

على أننا نلاحظ أن الشروح في نهاية القرن الخامس وبداية القرن السادس مع علماء الجيل التاسع، جيل الشيرازي (ت 500 هـ)، التبريزي (ت 502 هـ)، و الفصيحى (ت 516 هـ)، وابن السيد البطليوسي (ت 521 هـ) ... وغيرهم، قد أخذت "منحى أساسه الجمع والتلخيص والاستصفاء لشرح السابقين"³⁴، علماً أن هذه الشروح كانت تصب في الغالب الأعم في قوالب الغاية التعليمية، وفي المدارس النظامية - التي أقامتها الدولة الإسلامية - خدمة لطلاب العلم الراغبين في التزود بالمعارف والعلوم، مما جعل من طبيعة الشروح في هذا العهد - وإن غلب على بعضها سمة التأليف والتصنيفي - أنها وضعت في اعتبارها الطابع التعليمي التحليلي الذي يخدم المبتدئين³⁵.

وتكاد تكون ثقافة التلاخيص والمختصرات والمختبرات هي السائدة على جل الشروح المتعاقبة بعد القرن السادس؛ بحيث كان منحى الشروح المتعاقبة صورة جلية عن جمع آراء من سبق من الشراح، وبقيت " هذه السلبية الثقافية (مخيمة) على العرب حتى عصر ما يسمى النهضة، العصر الذي استيقضوا فيه فهبوا يحيون تراثهم تحقيقا وضبطا وشرحا"³⁶.

هذا، والمتأمل في هذه السيرة التاريخية لظاهرة شرح الشعر عند العرب لا يشك في أن شروح ديوان الحماسة عندما ظهرت للوجود لم تكن بمعزل عن هذه الحركة وما شهدته من تطورها، فمنذ النصف الثاني من القرن الثالث بدأت شروح الحماسة في الظهور، وأول عالم بلغنا خبره في صناعة شرح للحماسة هو أبو محمد القاسم بن محمد الديمري المتوفى سنة 287 هـ، وبعد ذلك توالى الشروح وتعددت حتى بلغت ما يربو عن الأربعين شرحا عدا الشروح المجهولة النسبة إلى أصحابها³⁷.

لقد كان لخصوصية ديوان الحماسة دور كبير في إيجاد هذا القدر الكبير من الشراح الذين تنوعت شروحهم بتنوع مشاربهم الثقافية، ومنازعاتهم الفكرية، ومناهجهم النقدية، ووسائلهم الاجرائية، فكان منهم من اهتم بالغريب كالمعري، ومنهم من وقف عند الأخبار والأنساب كابي الرياش، ومنهم من توخى المعاني كالدميري والنمري، ومنهم من قصر جهده على النحو كابن جني³⁸، ومنهم من تعمقت لديه المعرفة بنظرية الابداع وتنوعت الآلات الاجرائية، فأشغل بجميع هذه العناصر، كما هو الحال عند المرزوقي والتبريزي في المشرق والشتيمري في المغرب الاسلامي³⁹.

-منهج الأعلام الشنتمري في شرحه لحماسة أبي تمام

الشنتمري: هو يوسف بن سليمان بن عيسى النحوي؛ وأشارت المصادر التي ترجمت له إلى أنه يكتى أبا الحجاج، ويلقب: بالأعلام الشنتمري. ولد سنة 410 هـ في مدينة شنتمية*، وتفقه منذ سنة 433 هـ في قرطبة، وتوفي في إشبيلية سنة 476 هـ على ما أجمع عليه أصحاب كتب التراجم والطبقات⁴⁰.

أتم الأعلام الشنتمري مرحلة التحصيل في قرطبة حتى أصبح أحد علمائها، لينتقل بعدها إلى مدينة إشبيلية عاصمة العباديين؛ وكغيرها من الأسر الأندلسية، فقد أولت هذه الأسرة على نفسها الاهتمام بتنشيط الحركة الثقافية من خلال الأخذ بيد العلماء وتكريم المشهورين من الأدباء والشعراء، لهذا اتصل بهم الأعلام⁴¹، فاختصه " آل عباد بتدريس أولادهم فكان أستاذا لولد المعتضد بالله، ومن بعده المعتمد على الله"⁴²، ولم ينقطع الأعلام عن التدريس حتى كف بصره في آخر عمره⁴³.

لقد تعددت نعوت الأعلام بتعدد المظان التي أشارت إليه، فكان مرة نحويا، وأخرى أستاذا، وآونة أديبا، وتارة فقيها، وهي نعوت تكشف عن مكانته المرموقة، وطول باعه بين علماء زمانه⁴⁴، وقد شهد ابن خلكان على منزلته العلمية بقوله: " وكان عالما بالعربية واللغة ومعاني الأشعار، حافظا لجميعها، كثير العناية بها، حسن الضبط لها، مشهورا بمعرفتها وإتقانها"⁴⁵، أما صاحب الذخيرة فقال عنه وهو بصدد الحديث عن الشاعر عبد الجليل بن وهبون: " وقد شدا طرفا من الأدب، وكان الأستاذ أبو الحجاج الأعلام يومئذ زعيم البلد، وأستاذ ولد المعتمد، فعول عليه في رحلته، وانقطع إليه بتفصيله وجملته"⁴⁶.

وإلى جانب هذا التعدد في نعوت وصفه، فقد تعددت كذلك الموضوعات التي ألم بها الأعلام فيما صنف حيث ألف في النحو واللغة والأدب وشرح العديد من الدواوين الشعرية⁴⁷.

وبعدّ شرحه لحماسة أبي تمام والذي سماه بـ: "تجَلِّي غرر المعاني عن مثل صور الغواني والتجَلِّي بالقلائد من جواهر الفوائد" الشّرح الأندلسي الوحيد الذي كتب له النّور قبل غيره من الشّروح الأندلسية لنص الحماسة من جهة ، ومن جهة أخرى يعدّ آخر الأعمال العلمية التي ألفها الأعلام على عهد المعتضد، يقول الأعلام في مقدمة شرحه: " ثم رأيت الآن أن أختم ما اعتملت فيه قديما وحديثا، من ذلك، بجمع كتاب في أشعار الحماسة يقتضي تهذيبها وتنقيحها، وتقييد ألفاظها وتصحيحها، وتبيين معانيها، وتقريب أغراضها، وتفسير غريبها وغامضها وإعرابها، حتّى يكون هذا الكتاب مُرَبِّيًا على جميع التّأليف فيها، مغنيا عن استعمال التصنيفات المحيطة بها"⁴⁸.

وما يلحظ على هذا القول أن الأعلام قد حدد الطريقة التي اعتمدها في عملية التّأليف؛ وهي طريقة تقوم على عملية الجمع لنصوص الحماسة من خلال رواياتها المتعددة التي كانت منتشرة في الشرق والأندلس إلى زمانه، ويخرج به مؤلفا كاملا لم يكن له نظير من قبل، بحيث يضعه بين أيدي القراء كأول صورة جامعة مشتملة لكلّ ما ذهب إليه تلك الروايات المتعددة⁴⁹.

هذا، وإلى جانب حرص الأعلام على جعل عمله صورة حسنة لما تفرق من حماسة أبي تمام في مختلف رواياتها، فإننا نجده يحرص كذلك على انجاز أكبر قدر من التهذيب والتنظيم والتنسيق، بحيث عمد إلى محتوى كل باب ورتبه على الحروف الهجائية، وفقا للترتيب الأندلسي، ليتيسر للمتعلمين نيل مأربهم والظفر ببيغيتهم

بسهولة ويسر⁵⁰، وفي هذا يقول الأعلام: "ورتبته على حروف المعجم، ليقرب بذلك تناوله، ويسهل على الطالب مرامه، على حسب ما صنعه أهل العصر"⁵¹.

لكن هذا الإخراج الجديد وغير المعهود لنص الحماسة ذهب الظن ببعض من عرض لها إلى أنها حماسة جديدة صاحبها الأعلام وليست رواية جديدة لحماسة تقادم عصرها وتوات عليها الروايات⁵²، غير أن محقق شرح الأعلام لحماسة أبي تمام يدفع هذا الرأي ويخالفه حين يقرر "أن ما صنعه الأعلام ليس حماسة مستقلة، وأن أسنادها إليه منطوق على نوع من التسامح، وإنما هو مجرد جامع منظم لما تفرق من حماسة أبي تمام في مختلف رواياتها"⁵³.

والحق إن المتمعن في مقدمة الأعلام على شرحه يبدو له جليا أن الرجل - كما أشار المحقق - لم يفصح على أنه سيؤلف حماسة خاصة به بعيدا عن جو أبي تمام؛ بقدر ما صرح على أنه سيكون في هذا العمل مجرد جامع منظم لما تفرق من حماسة أبي تمام في رواياتها المختلفة، والدليل على هذا؛ سرده لأغلب المصادر التي استقى منها النص، ورجع إليها في صياغة ما تعلق بجوانب من الشرح⁵⁴، لما قال: "وضمنته كل ما تضمنه الحماسات من شعر، كالحماسة القديمة المنسوبة إلى أبي تمام التي هي أصل لغيرها، وحماسة أبي الفتوح ثابت بن محمد الجرجاني، وحماسة أبي محمد عبد السلام بن الحسين بن محمد بن طيفور القرمسيني البصري ..."⁵⁵. وهو ما يوضح أن الأعلام لم تكن له رغبة تأليف حماسة خاصة به، بقدر ما كان همه جمع وتنظيم ما تفرق من حماسة أبي تمام لإخراجها في ثوب يليق بشهرتها ومكانتها⁵⁶.

وبناء على ذلك، يتضح أن الأعلام قد اعتمد في إخراج هذا العمل على ثلاثة أصول رئيسية؛ استقطر عصارتها ووفق بينها، وأورد كل ما فيها، سواء تعلق الأمر بزيادة الأبواب وترتيبها، أو بإضافة قصائد مستقلة، أو أبيات متفرقة⁵⁷، وقد أشار الأعلام إلى أنه اقتدى في هذه الزيادة بما أورده عبد السلام البصري في حماسته،

حين قال : " وهذا الباب الثالث عشر زائد على ما تضمنه حماسة أبي تمام القديمة، وحماسة أبي الفتوح الجرجاني وغيره، وهو ثابت في حماسة عبد السلام، فأثبت به، ليأتي هذا الكتاب على جميع ما تضمنت الحماسات المختلفة من الأبواب "58.

وعلى ذلك لم يكن غريباً أن يشير غير واحد من علماء الأدب والنقد العربي القديم إلى جهود الأعلام في رواية الحماسة من حيث خروجها بهذا النمط الجديد المغاير اختياراً وإخراجاً وترتيباً، فقد أشار صلاح الدين الصفدي إلى جهد الأعلام في رواية الحماسة ومنهجه فيها بقوله: " شرح الحماسة شرحاً مطوّلاً، ورُتب كل باب منها على حروف المعجم "59.

أما ابن خلكان فأشار في وفياته إلى إجادته الأعلام في شرحه لما قال: " وغالب ظني أنه شرح الحماسة، فقد كان عندي شرح الحماسة للشنتمري في خمس مجلدات، وقد غاب عني الآن من كان مصنفه، وأضنه هو، والله أعلم، وقد أجاد فيه "60.

كما استشعر الأندلسيون ظهور حماسة الأعلام بمميزات فريدة على حماسة أبي تمام، فأعجبوا بها ومالوا إليها واعتمدوا عليها⁶¹، وقد عبر عن هذا الاهتمام أبو إسحاق إبراهيم بن ملكون الحضرمي بقوله: " كانت حماسة أبي تمام على ترتيبها مجفوة القدر في عصرنا، ومطرحة الاستعمال عند أبناء دهرنا، حين أخذت هذه الحماسة الأعلمية عليها باستمالة النفوس إليها "62.

أما أسلوب الأعلام في الشرح والتفسير فيقوم على التقديم للحماسة بعبارة الإنشاد التي يذكر فيها اسم الشاعر، مبدئاً نوعاً من الحرص في التنقيب عن نسبة ما أغفله بعض الشراح قبله، ليعمد بعد ذلك إلى توزيع أبيات النص لأجل شرحها شرحاً لغوياً؛ يقف على معاني الألفاظ في معجمها ليخرج بها في النهاية إلى المعنى العام الذي يقتضيه السياق⁶³. وما يميّز شرحه هذا هو منزعه التعليمي الاختصاري في

أساليب تفسيره وعرضه للظواهر النحوية والبلاغية والعروضية، وقد أشار المحقق إلى هذا حين قال: " ويبدو (الأعلم) شديد الحرص على تطبيق منهاج صارم وتنفيذ خطة محكمة لا يخرج عنها، تستوعب النص وتستخرج عصارته وتقدمه للمتعلمين وأشباههم مذللاً موطأ الأكناف"64.

وهكذا، ومن خلال هذا العرض يتضح لنا أن شرح الأعلام الشتمري لحماسة أبي تمام يعد شرحاً متفرداً عن غيره من الشروح الأخرى، ولا يحتاج الناظر في شرحه لكبير جهد حتى يتبين انفراده عن غيره من الشراح بل حتى انفراده على صاحب الحماسة نفسه اختياراً وإخراجاً وترتيباً، وهو ما جعلنا نصف الشرح هذا بكونه اختيار على اختيار...

- الهوامش

- 1 - عالمة خذري: الخطاب الشارح في الشعرية العربية شرح ابن جني لديوان المتنبي. أطروحة دكتوراه علوم إشراف محمد منصوري. كلية الآداب واللغات. جامعة باتنة. 2015/2014. ص 11.
- 2 - أحمد الوديني: شرح الشعر عند العرب. دار الكتاب الجديد المتحدة. بيروت. ط 1. 2009. ص ص 17-18.
- 3 - ابن منظور: لسان العرب. دار المعارف. القاهرة. مادة شرح. ص 2228.
- 4 - ابن فارس: مقاييس اللغة. تحقيق عبد السلام هارون. دار الفكر. 1979. ج 3. ص 269.
- 5 - المصدر نفسه. مادة فسر. ص ص 3412-3413.
- 6 - عبد السلام هارون: المعجم الوسيط. المكتبة العلمية. طهران. ج 1. ص 32.
- 7 - ابن منظور: لسان العرب. مادة أول. ص 172.
- 8 - فيصل الشرايبي: منهج ابن السيد البطليوسي في شرح ديوان سقط الزند لأبي العلاء المعري. بحث مقدم لنيل دبلوم الدراسات العليا إشراف بن شريفة محمد. كلية الآداب والعلوم الإنسانية. جامعة الحسن الثاني. الدار البيضاء. المملكة المغربية. السنة الجامعية 1989-1990. ص 375.
- 9 - المرجع نفسه. ص 375.
- 10 - أحمد الوديني: شرح الشعر عند العرب. ص 24.
- 11 - المرجع نفسه. ص 24.

- 12 - المرجع نفسه. ص 26.
- 13 - المرجع نفسه. ص 26.
- 14 - المرجع نفسه. ص 29.
- 15 - المرجع نفسه. ص 32.
- 16 - المرجع نفسه. ص 30.
- 17 - المرجع نفسه. ص 36.
- 18 - هشام القلفاط: المتغير الأدبي في شروح سقط الزند لأبي العلاء المعري. عالم الكتب الحديث. إريد- الأردن. 2009. ص 16.
- 19 - ابراهيم اسيكار: أسس التأويل في شرح الخطيب التبريزي لنصوص المفضليات. علامات في النقد. النادي الأدبي الثقافي. جدة. العدد 84. شوال 1436هـ/يونيو 2015. ص 260.
- 20 - أحمد جمال العمري: شروح الشعر الجاهلي نشأتها وتطورها. دار المعارف. القاهرة. ط 1. 1981. ج 1. ص ص 185-186.
- 21 - محمد عثمان علي: شروح حماسة أبي تمام. دار الأوزاعي للطباعة والنشر والتوزيع. الدوحة-بيروت. ط 1. ص ص 59-60.
- 22 - أحمد الوديني. شرح الشعر عند العرب. ص 38.
- 23 - محمد عثمان علي: شروح حماسة أبي تمام. ص 65.
- 24 - أحمد جمال العمري: شروح الشعر الجاهلي نشأتها وتطورها. الجزء 1. ص 246.
- 25 - فخر الدين قباوة: منهج التبريزي في شروحه والقيمة التاريخية للمفضليات. دار الفكر. دمشق. ط 2. 1997. ص 52.
- 26 - المرجع نفسه. ص 52.
- 27 - أحمد جمال العمري: شروح الشعر الجاهلي نشأتها وتطورها. ج 1. ص ص 274-275.
- 28 - فخر الدين قباوة: منهج التبريزي في شروحه والقيمة التاريخية للمفضليات. ص 56. وينظر كذلك عبد الله عبد الرحيم عسيلان: حماسة أبي تمام وشروحها 60
- 29 - المصدر نفسه. ص 12.
- 30 - ينظر أحمد جمال العمري: شروح الشعر الجاهلي نشأتها وتطورها. الجزء 1. ص ص 298-306.
- 31 - المرجع نفسه. الجزء 1. ص 325.
- 32 - المرجع نفسه. ص ص 333-334.
- 33 - عبد الله عبد الرحيم عسيلان: حماسة أبي تمام وشروحها. دار إحياء الكتب العربية. د ط. د ت. ص 61.
- 34 - أحمد الوديني. شرح الشعر عند العرب. ص 40.
- 35 - أحمد جمال العمري: شروح الشعر الجاهلي نشأتها وتطورها. الجزء 1. ص ص 364-368.
- 36 - أحمد الوديني. شرح الشعر عند العرب. ص 41.

- 37 - ينظر: محمد عثمان علي: شروح حماسة أبي تمام. ص ص 73-92.
- 38 - ينظر: محمد عثمان علي: شروح حماسة أبي تمام. ص 70. والعباشي السنوسي: قضايا توثيق النص وتحقيقه. ص ص 08-09.
- 39- العباشي السنوسي: قضايا توثيق النص وتحقيقه. ص 09.
- * - شنتمرية حصن من حصون الأندلس، وتسمى (santamaria)، توجد بدولة البرتغال في القسم المطل على المحيط الأطلسي جنوباً، وقد وصف محمد عبد المنعم الحميري، شنتمرية بقوله: "مدينة في الأندلس... متوسطة القدر حسنة الترتيب، بها مسجد جامع ومنبر وجماعة، وبها مراكب واردة وصادرة، وهي كثيرة الأعناب والتين... وإليها ينسب الأستاذ أبو الحجاج يوسف بن سليمان الأعمى الشنتمري ذو التصانيف المشهورة" ينظر: محمد عبد المنعم الحميري: الروض المعطار في خبر الأقطار. تحقيق احسان عباس. مكتبة لبنان. بيروت. ط 2. 1984. ص 347.
- 40 - القفطي: انباه الرواة على أنباه النحاة. الجزء 4. ص 66. ابن خلكان: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان. تحقيق احسان عباس. دار صادر. بيروت. الجزء 7. ص ص 81/82. السيوطي: بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة. الجزء 2. ص 356. البغدادى: هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين. دار احياء التراث العربي. بيروت. الجزء 2. ص 551. حاجي خليفة: كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون. المجلد 1. ص 604. ابن بشكوال: الصلة. مراجعة عزت العطار الحسني. مكتبة الخانجي. القاهرة. ط 2. 1994. الجزء 1. ص ص 643/644. بروكلمان: تاريخ الأدب العربي. ترجمة رمضان عبد التواب. دار المعارف. القاهرة. ط 3. الجزء 5. ص 352. الزركلي: الأعلام. دار العلم للملايين. بيروت. ط 15. 2002. ج 8. ص 233.
- 41 - أحمد طايبي: القراءة بالمماثلة في الشعرية العربية القديمة. ص 131.
- 42 - الأعمى الشنتمري: تحصيل عين الذهب من معدن جوهر الأدب. تحقيق زهير عبد المحسن سلطان. مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع. لبنان. ط 2. 1994. ص 12.
- 43 - الصفدي: نكت الهميان في نكت العميان. تحقيق أحمد زكي. المطبعة الجمالية. مصر. 1911. ص 312.
- 44 - الأعمى الشنتمري: شرح حماسة أبي تمام. تحقيق علي المفضل حمودان. دار الفكر. بيروت. ط 1. 1992. ص 10.
- 45 - ينظر: ابن خلكان: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان. الجزء 7. ص 81. القفطي: انباه الرواة على أنباه النحاة. الجزء 4. ص 65.
- 46 - ابن بسام: الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة. تحقيق احسان عباس. دار الثقافة. بيروت. 1998. الجزء 2. ص 474.
- 47 - لقد أورد الأعمى في المقدمة التي صدر بها شرحه على حماسة أبي تمام جميع المصنفات التي ألفها. ينظر. الأعمى الشنتمري: شرح حماسة أبي تمام. ص 92.

- 48 - المصدر نفسه. ص 93.
- 49 - المصدر نفسه. ص 51.
- 50 - المصدر نفسه.. ص 58.
- 51 - المصدر نفسه. ص 93.
- 52 - عبد القادر البغدادي. حزانة الأدب. تحقيق عبد السلام محمد هارون. مكتبة الخانجي. القاهرة. ط 4.
- الجزء 1. ص ص 21-22. وينظر كذلك. عبد الله عسيان: حماسة أبي تمام وشروحها. ص 51.
- 53 - الأعلام الشنتمري: شرح حماسة أبي تمام. ص 58.
- 54 - المصدر نفسه. ص 55.
- 55 - المصدر نفسه.. ص ص 93-94.
- 56 - المصدر نفسه. ص 58.
- 57 - المصدر نفسه. ص ص 57.
- 58 - المصدر نفسه. ص 97.
- 69 - الصفدي: نكت الهميان في نكت العميان. ص 313.
- 60 - ابن خلكان: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان. الجزء 7. ص ص 81 - 82.
- 61 - الأعلام الشنتمري: كتاب الحماسة ترتيب الأعلام الشنتمري. تحقيق مصطفى عليان. جامعة أم القرى. ط 1. 1423. ص 32.
- 62 - محمد بن شريفة: أبو تمام وأبو الطيب في أدب المغاربة. دار الغرب الاسلامي. بيروت. ط 1. 1986. ص 81.
- 63 - رندة محمد العمري: النحو والصرف في شروح حماسة أبي تمام. أطروحة دكتوراه اشرف منى إلياس. كلية الآداب والعلوم الإنسانية. جامعة دمشق. سوريا. 2003-2004. ص 109.
- 64 - الأعلام الشنتمري: شرح حماسة أبي تمام. ص 66.